ليبيا... القارة الثالثة لدى الجغرافيين اليونان

منــذ أدرك الانســان فكرتهــا في الأزمنــة والحضــارات القديمة، ظل رســم «الخرائــط» يحتل قدرا كبــيرا من الأهمية في مســار حياة الإنسـان، تغير رســم الخرائط مــن الحجارة إلى الجــدران إلى ورق الــبردي فالكتــب والأطالس، كما تباين اســتخدامها من اجتماعــات العلماء والمكتشــفين، إلى أروقة الحكم وبلاط الأباطــرة والأمراء، مرورا بطاولــة رجال الحروب، وليــس انتهاء بالتجار وقــادة القوافل.. وفي كل اســتعمالاتها ظلــت مهمة وحاســمة في حركة التاريخ، للتوســع، للتعلــم، للاحتلال، للحــرب، للتجارة، للرحالة،لــكل شيء أنــت بحاجتهــم، من هنا اســتمد الجغرافيــون أهميتهــم وقدرهم وتركوا أثرهــم الكبير في تاريــخ البشرية.

ومــن الحضــارات القديمة أحــرز الإغريق عــلى وجه الخصــوص تقدما كبيرا جــدا في علم الجغرافيــا، وكان الدافــع الأكبر لذلك شــغفهم بالفلســفة حيث تناقشــوا في أصل المادة التي تكونت منها الأرض، وعن شــكلها اذا ما كانت مســطحة أو كروية ومكانها من الكون.

فقــد جعل طاليــس –مثلا- وبعض الفلاســفة الإغريــق الأوائل الماء كمادة أولى وجوهر للأشــياء بشــكل عام ضمــن آراء أخرى تخالفــه، واقترحــوا أن اصل الأرض كان المــاء قبل أن تنبثق منــه مادة أخرى، واختلفت واســتمرت هذه الفرضيــات لمدة طويلة، فيــما كان فيتاغورس الرياضي والفيلســوف الشــهير أبــرز من قالوا بكرويــة الأرض وفندوا الــرأي القائل بأنها مســطحة وقد كان اعتقــادا قديما وســائدا، وقد أيــد رأيه معظم الفلاســفة من بعده مســتدلين بعدة براهين أهمها مشــاهداتهم أثنــاء ظهور ظل الأرض الكــروي عــلى القمر عند الخســوف، كما اســتندوا إلى نجاح الرياضيــين ومن أبرزهــم إيراتوســثينس القوريني في قياس محيط الأرض وتقــارب أرقامهم.

وتــولى عدد كبــير من الجغرافيــين والمؤرخــين والرحالة اليونانيين رســم خرائــط للعالم، ووصــف أقاليمه وبلدانــه اعتمادا على رحلاتهــم وعلومهــم المتوارثــة، وبهــذه المســاهمات الكبيرة وغيرهــا فتح الإغريــق الباب للرومــان وكل من جــاء بعدهم من حضــارات للذهاب بعيــدا في تطوير علــم الجغرافيا ورســم الخرائط.

وهذه نماذج مهمــة للخرائط اليونانية الأولى التي رُسـمت للعالم القديم:-

- اناكسيماندر براكيادس

الفيلســوف والعالم اليوناني الذي عــاش في القرن الخامس قبــل الميلاد يعتبر مــن الجغرافيين البارزين الذي رســموا خريطة كاملة للعــالم - أو بالأصح ما كانــوا يعرفونه مــن العــالم آن ذاك -، وأول من حاول معرفة المســافات بين الأرض والشــمس وبعض الكواكب والنجوم.

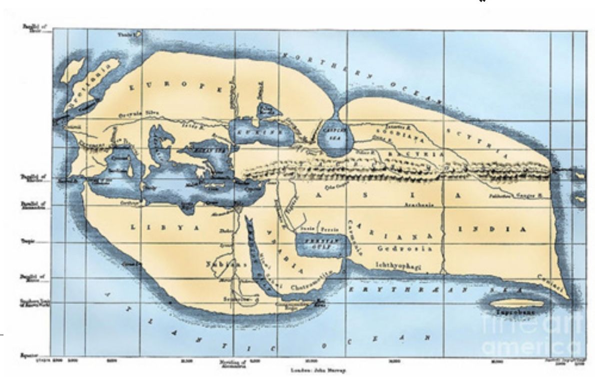
خريطتــه تجعــل مــن «ليبيــا» القــارة الثالثــة والتي تمتد من النيــل إلى جبــال الأطلس.. وتضــم ليبيــا الحاليــة وتونــس وأجــزاء من المغــرب والجزائــر وتشــاد وغيرهــا، أما مــصر فــكان معظم اليونانيــين يحصرهــا فيــما حــول النيــل وينســبونها كجــزء من آســيا، وكانــت معظــم الاراضي الغربيــة مــن دولة مــصر الحاليــة اما تتبــع اقليم «ليبيــا» آن ذاك او كانــت محــل نزاعات طويلــة ومريرة بين القبائــل الليبية والمصريــين، ولا تظهر الخريطة أي تفاصيــل أخــرى تذكــر.

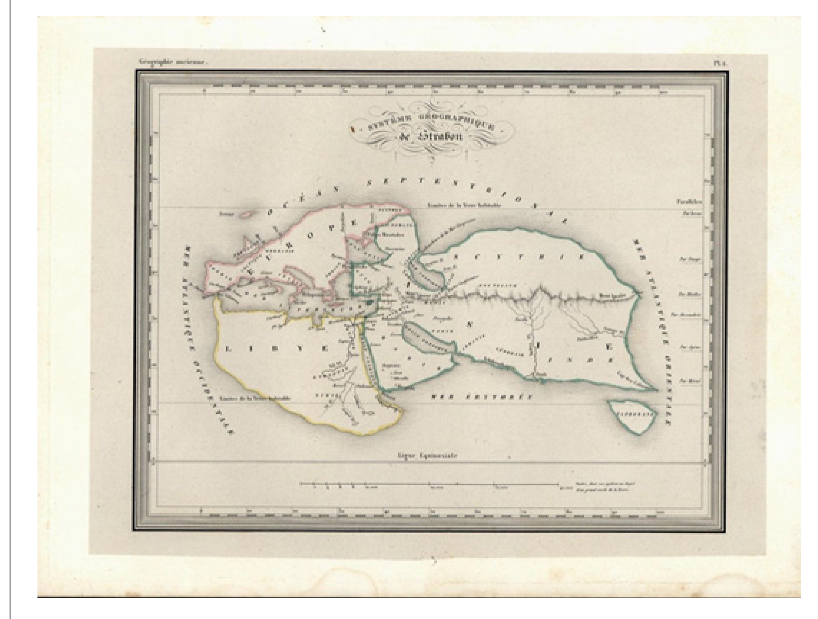
إيراتوسثينس القوريني

فيلســوف وجغــرافي ورياضي وعــالم كبير، يعتــبر من المؤســســين الحقيقيين لعلــم الجغرافيــا وعلم رســم الخرائــط، وأول من دمج خطــوط الطول في الخرائــط الجغرافية، وأحد أوائل مــن أدركوا كروية الأرض ورســمها كذلك، ومــن رواد علــماء الجغرافيا الذين تمكنــوا من قياس محيــط الكرة الأرضية بهامش خطأ بســيط جدا عــما هو معــروف اليوم.

ولــد في قورينــا (شــحات) في ليبيــا حــوالي ســنة 276 قبــل الميــلاد، ورحــل الى أماكــن شــتى في العــالم يكتشــف ويتعلــم، ورســم خرائط كثــيرة للعــالم تميــزت بدقتهــا وتقدمهــا عــلى جغرافيــي عــصره.

تبدوا هذه الخريطة لإيراتوســثينس القوريني بالمقارنة بســابقتها دقيقة في رســم مســارات الأنهار وحدود القــارات والجزر والمضائــق والبحار وغيرها، ومشــتملة على مناطــق أكثر خصوصا في آســيا وأوروبا، وكما هــو واضح فقد ظلــت ليبيا تطلق على ليبيــا الحالية، وعلى ما كان اكتشــفه الإغريق آن ذاك مــن افريقيا، وتمثل ليبيــا الحالية أكبر جــزء فيه، فيما لم يدركوا شــيئا كثيرا عن الجزء الجنوبي مــن القــارة.





سترابو

ســترابو ويطلق عليه أســترابون و ســترابون.. الجغرافي اليوناني الأبــرز عــاش في القــرن الأول الميــلادي، يتميز عن ســابقيه بأمريــن، الأول كثرة ترحاله ومشــاهداته للأماكــن التي وصفها ورســمها في خرائطه وكتبــه، والأمر الثاني أن كتابه الموســوعي الكبير المســمى بــ» الجغرافيا « وصــل إلينا كامــلا ولا يزال يطبــع ويترجــم ليومنا هذا، وقــد خصص الجزء الســابع عشر منه في وصــف ليبيا.

يقــول الدكتور خالد الهدار اســتاذ علم الآثــار بجامعة بنغازي عــن كتــاب الجغرافيــا لســترابو: (ما يهــم ليبيــا بحدودها الجغرافية الحالية الفقرات 18-23 ص ص. 112-120، واول مدينة ذكرهــا كانت لبدة الكــبرى او نيابوليس، أي انــه اهمل صبراتة واويا و هــذا طبيعــي لان المدينتين لم يكن لهما شــأن في تلك الفترة، يــلي لبدة منطقــة خاليــة من الموانى حتــى رأس كيفالي (رأس الزروق)، وذكــر ان الليبو فينقيين يســكنون الى الجنوب في المنطقــة الممتدة مــن رأس كيفالي الى قرطاجــة، ثم تحدث عن موطــن بقية القبائــل الليبية مثل الغايتــولي و الجرامنت.

و اهتــم بالحديــث عن حيــاة بعــض القبائــل البدوية التــي لم يذكر اســماءها ونقل معلوماته من بعض ســابقيه مــن الكتاب (الفقــرة 19 ص.113). ثم اهتــم بخليج سرت فذكــر ابعــاده وصعوبــة الابحار فيــه ووقوعه مــا بــين رأس كيفالي في الغــرب و رأس بوريــوم (راس تايونيــس) في الــشرق، ثــم واصل مســيرته في وصف المــدن الواقعة على خليــج سرت بدءا من كيفــالي التي يليها بحــيرة توافق ســبخة تاورغاء ثــم موقع ميناء يدعى آســبيس (بويرات الحســون)، ثم بــرج ايوفرانتاس (الشويشــة 40 كم شرق سرت الحديثــة) الــذي يمثل الحــد بــين الاراضي التابعة لقرطاجــة والأخرى التابعــة لكيريني، يليهــا خاراكس (ســلطان او سرت القديمــة) ثم اضرحــة الاخوين فليني (الــرأس العالي) يليــه اتومالاكوس (بوشــعيفة قــرب العقيلة) تليه منطقــة بها موانيء لم يذكر أســماءها حتــى الوصول الى بوريــون النقطة التي ينتهــي عندها خليج سرت شرقا، و على مســافة قريبة منها شرقا يوجد لســان بحري يســمى بســيدوبيناس مقامة عليــه مدينة بيرينيكي (بنغازي عند ســيدي خريبيــش) الواقعة قرب بحــيرة تريتونياس (ابودزيــرة) التي يوجد بهــا جزيرة عليهــا معبــد لافروديت، وهنــاك ميناء يوســبريدس الذي يصــب فيه نهر الليثون، ويســتمر ســترابون يعدد اسماء المدن والمواقع المطلة على البحــر، منها تاوخيرة او ارســنوي (توكــرة ـ العقورية)، ثــم بطوليمايس التي كانت تســمى برقــة او بالأحرى مينــاء برقــة، يليهــا رأس فيكوس وقرية فيكــوس (رأس عامــر و الحمامــة)، يليها ميناء ابوللونيــا (الفقــرة 20 ص ص.114-117)، و خصص الفقــرة 21 ص ص.117-118 للحديث عــن مدينة كيرينــي واهميتها وملخص تاريخــي عنها، وذكر ان كيرينايــكي في عصره كانت تشــكل ولاية رومانية مــع كريت.

ثــم يتابع ذكر المواقع او المــدن الواقعة للشرق مــن ابولونيا اهمها ناوســتاثموس (رأس الهــلال)، ثم زيفــيرون (رأس مداد غــرب درنة)، يليهــا رأس خيرونيســوس (رأس التين)، ثــم معبد هيراكليــوس و باليــوروس (التميمي)، ثم مينــاء مينلاوس (مــرسى قابس)، ثم اردانيــس (مرسى لــك)، ثم يليهــا ميناء كبــير لم يذكر اســمه (لعله طــبرق)، يليه ميناء بلينــوس (قرب الســلوم) يقع خلفــه تيترابيرغيــه (الابــراج الاربعة)، يليهــا كاتاباثموس (الســلوم) حيــث ينتهي اقليــم كيرينايكي مــن الناحية الشرقيــة. وقد افــرد الفقرة 23 ص.120 للتعليق بشــكل مختصر عن الليبيين الذين يســكنون وراء خليج سرت و كيرينايكي منهم الناســامونيس و البســولي، و الغايتولي، يليهــم جنوبا الجرامنــت، وفي اقصى الشرق جنــوب كيرينايــكي توجد قبيلــة المارماريــداي، ثم يتحدث انــه مــن اوتومالاكوس (بو ســقيفة او بوشــعيفة قرب العقيلة) مشــيا على الاقدام مســيرة اربعة ايام توجد اوجلة، ثم يتحــدث عن طبيعة الاراضي التي تســكن بهــا القبائل الليبية، ويختم ســترابون هذه الفقرة بصعوبــة تحديد حــدود ليبيا جنوبا بســبب الصحاري المنتــشرة هناك).

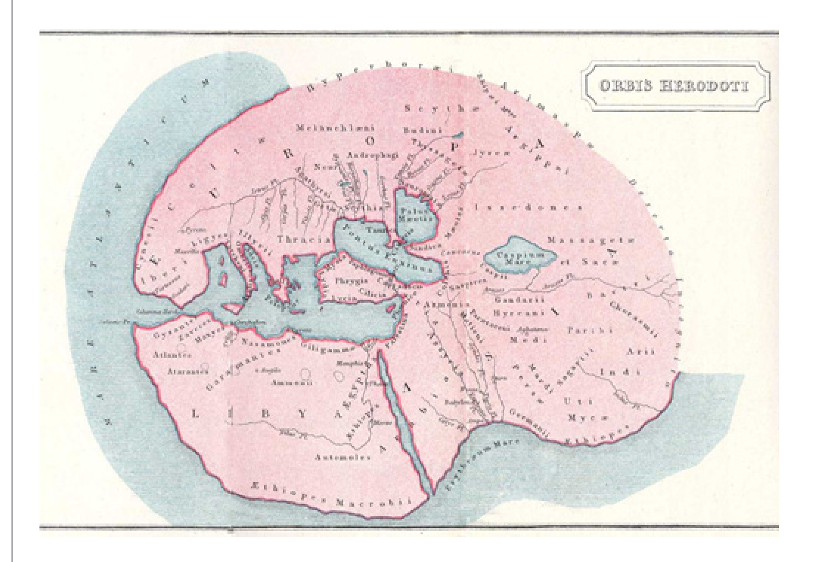
اقتباسات

وصف طرابلس في القرن الخامس عشر

«كان دخولنا لمدينة طرابلس قرب الظهر، وهي مدينة مساحتها صغيرة، وخيراتها كثيرة، ونكاياتها للعدو شهيرة، ومآثرها جليلة، ومعايبها قليلة، أنيقة البناء، فسيحة الفناء، عالية الأسوار، متناسبة الأدوار، واسعة طرقها، سهل طروقها، إلى ما جمع لأهلها من زكاء الأوصاف، وجميل الإنصاف وسماحة على المعتاد زائدة، وعلى المتعافين بأنواع المبرة عائدة.

الرحالة عبد الله ابن محمد العياشي 61-1663 م


مأذنة مسجد درغوت باشا أعلى اليمين وهي شاهدة على تاريخ مدينة طرابلس



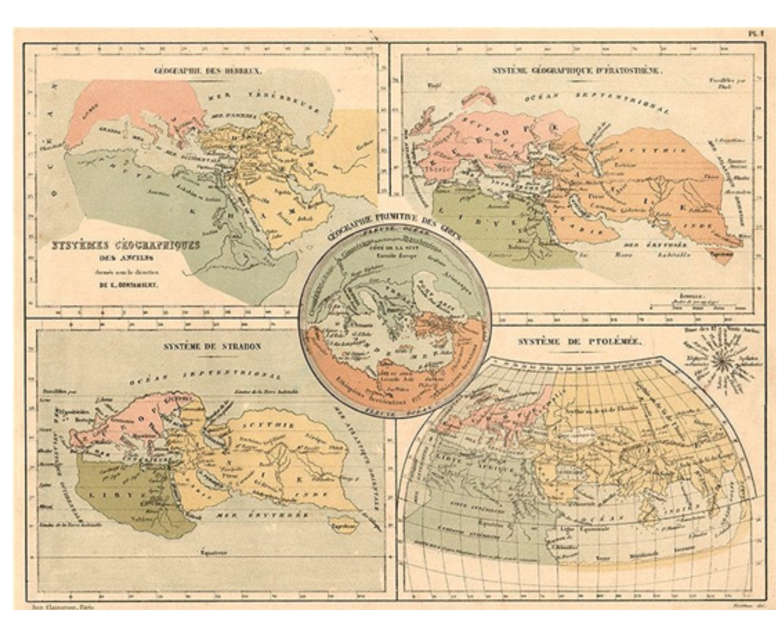
هيرودوت

أول مـؤرخ إغريقـي أخذ عـلى عاتقـه كتابة تاريـخ العالم حتى الوقـت الذي عاش فيـه. أطلق عليه الخطيـب الروماني سـيشرون لقب (أبـو التاريخ).

ولد سـنة 484 ق م، وسـافر إلى بلـدان عدة مـن بينها ليبيا التي تحدث عنها بإسـهاب وعـن عادات شـعوبها ودياناتهم وأسـاطيرهم وقبائلهـم وأسـاليب معيشـتهم، ويعـد كتابه المعـروف اليوم باسـم التواريخ أو تاريخ هـيرودوت حتى أحد أهم مصـادر التاريـخ الليبي القديـم والعالم.

هـذه الخريطة التي رسـمت بناء على مشـاهدات هيرودوت ومـا عرفه عن العالم آن ذاك يظهر ليبيـا كما في معظم الخرائط اليونانية القديمة شـاملة لـكل «ليبيا» الحالية ومعظم شـمال افريقيا وبعـض البلاد الافريقية التي عرفهـا هيرودوت آن ذاك.

هـذه باختصـار كانـت مختارات بسـيطة مـن الخرائـط اليونانية الكثيرة التي رسـمها علماؤهـم، حيث بينت معرفتهـم واتصالهم واهتمامهـم بليبيـا التـي كانـت دائمـا تمثـل محـورا مهما في علومهـم وأسـاطيرهم وحياتهـم، إلى أن اسـتقر بعضهـم فيها وأسسـوا في شـرق ليبيا حاضـرة عدت مـن أهم المـدن الإغريقية فـي العالـم، ومـا تجمـع عليـه هـذه الخرائط هـو اطـلاق كلمة «ليبيـا» لـدى اليونانييـن كان يقصد بـه منطقة جغرافيـة كبيرة من شـمال افريقيا وتمثـل «ليبيـا» بحدودها الحاليـة الجزء الأكبر والأهـم والأكثر دراسـة وعناية مـن الناحيـة التاريخية.



مقارنة بين خرائط سترابو، بطليموس، إيراتوسثينس.

مصادر:

دائرة المعارف البريطانية.
الجغرافيا / سترابو.
تاريخ هيرودوت / هيرودوت.
معالم تاريخ الانسانية / هـ ج ولز.
مقالة للدكتور خالد الهدار.
The Penguin Historical Atlas of Ancient Greece.